

# نصيب بغداد

## مِنْ كَلِيلَةِ وَدْمَنَةٍ

بقلم : جعفر الخليلي

لكي نعين نصيب بغداد من كليلة ودمنة وما استطاعت أن تحصل عليه الأمم الأخرى عن طريقها ينزمت أن نلم بشخصية ابن المقفع الفنية الحياة فاذا بها سبيكة خالصة من عقل وادرائه بعض الأنام ونقف ولو باختصار على لون ثقافته وموهبته التي استطاع بها أن يترجم هذا الكتاب الذي خلد مع الدهر وحافظ على جدته في كل عصر كأنه لم يؤلف الا يوم قراءته لكي تفهم قيمة الحصيلة التي ظفرت بها بغداد من كليلة ودمنة بكل سهولة ووضوح.

### ابن المقفع

ولد ابن المقفع وقد زودته الطبيعة باستعداد فطري ومواهب وملكات لم يزود بها الا القليل من النوابغ والعباقرة ، وتضافرت هذه الملكات وعوامل البيئة والمحيط فأخرجت منه أمة يحدوها

للتنزه ، وأول من بناها هو أردشير وبنى في وسط المدينة بناء مثل الدكة يسميه العرب طربالاء وكان عاليا جدا بحيث يشرف الانسان منه على المدينة وعلى رساتيقها ، وبنى في أعلاه بيت نار

(١) معجم البلدان - حرف الجيم .

بنصيب كبير من الثقافة العامة ، والفرس أهل حضارة قديمة ، وعز تليد ، وبينهم وبين العلم أسباب متصلة ، وعري موثقة ، فليس عجيباً أن ينشأ ابن المقفع على طرف منه وأثارة سالحة<sup>(٣)</sup> .

كل هذا من الاستعداد الفطري ، والموهبة الطبيعية ، وما يوحى به الاسم الجميل من روح التفاؤل ، والمناخ وجودة الهواء ، والمناظر الخلابة ، ووفرة النعمة من الأثمار ، والأزهار الحوراء المفعمة بالشذا العاطر المنسوبة الى مدينة ابن المقفع دون غيرها من المدن ، وتركيز أفكاره في فلسفة الخير والشر ، ومظاهر النور والظلمة ، وما كان له مساس بواقع الحياة وما لم يكن له مساس ، والأحاطة الواسعة بتاريخ الفرس وأحوالهم وسير ملوكهم ، وآدابهم وأمثالهم وحكمهم قد زودت ابن المقفع بثقافة خاصة مثلت جانباً غير قليل من الثقافة الفارسية في نشأة هذا الشاب الموهوب حين وجد نفسه في محيط البصرة وهو مولى لآل الأهم .

وكانت البصرة والكوفة وخصوصاً البصرة تمثلان الجانب الأكبر من الحضارة العربية في الفصاحة والبلاغة والانشاء ، والجانب الأكبر من الحضارة الاسلامية ونشأة المذاهب الأدبية وما بدأ ينصب فيها من حضارات أمم أخرى دخلت الاسلام ، اذ لم يكن يومذاك كبير شأن لمكة ودمشق بالرغم من عظمتها ، وكانت بغداد لم تنزل في صدر الغيب ولم تكن قد ولدت بعد ، فكانت البصرة تعج بالشعراء والادباء ، وكان للشعر

(٣) مقدمة المرصفي للطبعة الخامسة من كليلة

واستببط بحذائه في جبل ماء حتى أصعد به الى رأس الطربال !! . .

وجور - كما أوردياقوت - مدينة نزهة جدا يسير الرجل نحو فرسخ منها في بساتين وقصور ، وبين جور وشيراز عشرون فرسخا ، وأيهما ينسب الورد الجوري وهو أجود أصناف السورد الاحمر الصافي ، وينسب لجور عدد كبير من علماء الاسلام في مختلف فروع العلم ، فكان لا بد أن يؤثر هذا المناخ والجمال ، والورد والريحان ، في نفس كنفس ابن المقفع ، فيساعد على اتساع افقه ، وصفاء خياله ، ولربما كان لاسمه (روزبه) أي اليوم السعيد بعض الايحاء في صفاء نفسه من الكدر .

ولد ابن المقفع مجوسيا وانه لمن المؤكد أن يكون قد اطلع على (الافستا) واطلع على شرحها (الزاندفت) وهي تعاليم تصور فلسفة عميقة ذات جذور متشعبة أوجدتها فكرة النور والظلمة ، والخير والشر فزاد ذلك وهو الموهوب بالفطرة - من اتساع افقه وقابلياته الذهنية ودفع به الى التأمل في طبيعة الكون والحياة وأهدافها في شيء من العمق والتفكير وكان قد اطلع على (مزدك) وتعالمه وفلسفة ديانتها وما كانت تهدي اليه التعاليم المزدكية وموضع اختلافها من آراء الزردشتية حتى لقد أدى به هذا الاطلاع والاحاطة بحياة مزدك الى أن يقوم بترجمة كتاب (مزدك) الى العربية .

ومما ترجم من الكتب الفارسية المنوعة من أدب وسير وأنظمة وقوانين وفلسفة ككتاب (خداينامه) وكتاب (آيين نامه)<sup>(٢)</sup> يستدل على انه كان قد أخذ

وضحاها يدرب مفاهيم الاسلام واهدافه واجتهادات المجتهدين فيه وآراءهم في اصوله وفروعه.

وما عدا ذلك فقد أحاط بالفلسفة اليونانية احاطة تامة وألم بالمنطق الماما كاملا حتى تم له أن يترجم كتب ارسطو طاليس الثلاثة في المنطق وقيل انه ترجم ايساغوجي تأليف فرفويوس الصوري ، بالاضافة الى مزاولته الكتابة للامراء، فكثيرا ما ساعدته على معرفة أخلاق المحيط ونواذعه ، وأمزجة الناس وعاداتهم .

كل هذه العناصر قيد توحدت في تكوين عقلية ابن المقفع الجبارة ، وتهذيب خلقه ، وصل أفكاره ، واتساع علمه ، وتثقيف قلمه حتى كان بحق أمير البيان ، وعنوان البلاغة ، ومثعل الذكاء والفطنة ، وحتى صار بمقدوره أن يختط لنفسه النهج الصحيح في فلسفة الحياة وشؤونها ، وآداب المجتمع وأخلاقه ، ويقوم بتوجيه نفسه بنفسه ، وتلك ملكة لا يقدر عليها الا من أوتي من العلم واستقامة الفكر وبعد النظر حظا كبيرا ومقدرة فائقة .

قال الاصمعي :- قيل لابن المقفع من أدبك ؟ فقال نفسي ، اذا رأيت من غيري حسنا أتيت ، وان رأيت قبيحا أتيت<sup>(٧)</sup> .

حكى عن محاضرات الراغب انه قال : « أربعة لم يدرك مثلهم في الاسلام في فنونهم : الخليل ، وابن المقفع ، وأبو حنيفة ، والفزارى<sup>(٨)</sup> . » وقال ابن النديم عنه : « انه كان في نهاية

العربي واللغة العربية والفصاحة وبلاغة مقام كبير ، وشأن عظيم وكان المربد قد بدأ يتمصر حتى أصبح بعد ذلك أهم محلة من محلات البصرة ، فعرف بمفاخر الشعر والشعراء ومساجلاتهم ، ومجالس الخطباء وأنديتهم ، وما كان للفصاحة من سوق رائج في ربوعه خاصة ، حتى لقد عرف الكثير من الشعراء والادباء والمحدثين بنسبتهم للمربد<sup>(٤)</sup> .

فكان لا بد لابن المقفع وهو كما وصفنا من حيث تفقق الذهن والموهبة والالمام بالثقافة الفارسية العميقة ومعرفة اللغة اليونانية أن يعترف ما وسعه الاعتراف من معين العربية الواسعة ، وأن يتبع أصولها وقواعدها ومواضع الكلم من الشعر والنظم فيها وقد اتيح له الاتصال بعلمية القوم وامراء الفصاحة العربية وبلغائها حتى تم له في مدة قليلة أن يحيط بالعربية احاطة العالم الخير ، وتمكن من البيان تسكن المتكر المجدد ، ولقد نظم الشعر العربي وان شعره مذكور في كتاب الحماسة<sup>(٥)</sup> وكان أمام طبقة الكتاب والمؤلفين<sup>(٦)</sup> .

ومن طريق العربية وآدابها تم له اخراج الفكرة والتفنن في تنميقها والابداع في تصويرها شعرا ونثرا لاسيما وقد وعى القرآن وتفهم معانيه ، ومغازيه ، ومواطن بلاغته ومعجزات ايجازه ، وفنون سورة وآياته ، فأسلم طائعا ، وتفتحت له بدخوله في الاسلام آفاق جديدة من الفلسفة ، واتجاهات جديدة من الانظمة ، ونهج خاص من ديانة قامت اسسها على البلاغة فاذا بأبن المقفع بين عشية

(٧) وفيات الاعيان ج ١ ص ٤١٣ ، مطبعة السعادة .  
(٨) الكنى والالاقاب ج ١ ص ٤١٠ .

(٤) معجم البلدان حرف الميم .  
(٥) وفيات الاعيان ج ١ ص ٤١٦ .  
(٦) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٥٢ .

٣ - كتاب انالوطيقا أو تحليل القياس<sup>(١٢)</sup> .

أجل لقد كانت تلك العدة الكاملة من العلم والمعرفة والاستقامة والادب الرفيع المحبرة التي غمس فيها ابن المقفع قلمه ليضع عددا من الكتب الجليلة في الفلسفة والادب والاخلاق والادارة وفن الرسائل ككتاب : الادب الكبير ، والادب الصغير ، واليتمة ، وكتاب التاج ، وكتاب مزدك، وغير ذلك من الكتب ، ولكنه لم يترجم ولم يضع كتابا يصلح أن يكون عصارة لجميع الثقافات والحضارات والملكات المتقدمة ، من دين وأدب ، وأخلاق ككليلة ودمنة ، فقد أفرغ ابن المقفع كل قلبياته الفلسفية ومقدرته الادبية في نسجه وحبكه على تلك الصورة من البراعة والروعة التي عرف بها ابن المقفع حتى غطي كليلة ودمنة على جميع مؤلفاته الاخرى على رغم مكاتبتها الرفيعة الكبيرة في عالم التأليف ، وكان كليلة ودمنة ثورة هائلة في عالم الادب والاجتماع حفزت الكثير على مدارستها ، والتمعن فيها ، وفهم مغازيها ثم التفتن في نقلها شعرا ، ومباراتها والتنافس على نظمها ، ووضع بعض القصص والامثال على نسقها ، وتعويل المرين والآباء عليها في تنقيف أبنائهم وحمل المتأدبين على استيعابها وحفظ الكثير من فصولها بنصوصها عن ظهر قلب ، وكان نصيب بغداد من هذه الحركة نصيب الارض الخصبية الصالحة من الديمة النافعة ، وكان نصيب كليلة ودمنة من بغداد نصيب الجوهرة النفيسة من عارفي قدرها ، الذين

الفصاحة والبلاغة كاتباً شاعراً فصيحاً» .

وسمع أبو العيناء بعض كلام ابن المقفع فقال: « كلامه صريح، ولسانه فصيح، وطبعه صحيح كأن بيانه لؤلؤ مشور ، وروض ممطور » .  
وينقل السيوطي عن محمد بن سلام قوله : « سمعت مشايخنا يقولون لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع ، ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع»<sup>(٩)</sup> .  
وقال ابن النديم : بلغنا الناس عشرة وعد ابن المقفع أولهم<sup>(١٠)</sup> .

وهكذا جمع بين فصاحة العرب ومنطق اليونان وحكم الهنود وأمثال الفرس ، وكان ذلك من أسباب روعته وخلوده<sup>(١١)</sup> .

وكل هذه العدة الكاملة من علم وأخلاق وأدب وذكاء كانت هي المحبرة التي غمس فيها ابن المقفع قلمه حين قام بترجمة عدد من الآثار الفارسية، ككتاب خداينامه ، وكتاب آيين نامه ، وأنوشروان (التاج) وعدد من الآثار اليونانية ككتب ارسطوطاليس .

يقول صاعد الاندلسي في طبقاته « ان أول علم اعتنى به من علوم الفلسفة هو علم المنطق والنجوم فأما المنطق فأول من اشتهر به في هذه الدولة عبدالله ابن المقفع الخطيب الفارسي فإنه ترجم كتب ارسطوطاليس المنطقية الثلاثة وهي:

١ - كتاب قاطاغورياس أو المقولات العشر .

٢ - كتاب باري ارمينياس أو العبارة .

(١٢) أ - ابن المقفع الدكتور عبداللطيف

حمزة ص ٢٠٦ .

ب - مقدمة محمد المرصفي لكليلة ودمنة

( الطبعة الخامسة ) ص ٤٧ .

(٩) المزهر ج ٢ ص ٢٤٩ .

(١٠) الفهرست ص ١٨٢ .

(١١) محاضرة كمال ابراهيم عن كليلة ودمنة

ج ٧ مجلة الاستاذ .

يعرفون كيف يحتفظون بها ويحافظون عليها ، وكيف يعرضونها للناس ليمتعوهم بمزاياها ، ولولا بغداد ما كان لهذا الكنز الثمين أن يخرج الى الاسواق ، لولا بغداد ما كان بوسع الامم غير العربية أن تفيد من كليله ودمنة ما أفادت وأن تثر فيها من الروح الادبية والخلقية ما أثارته كليله ودمنة في ميدان الثقافة الخلقية والادبية ببغداد ، وسنستعرض أهم ما حصلت عليه بغداد بن نصيب أدبي كان له الفضل الاكبر في بعث حركة أدبية واسعة في بغداد ثم عمت العالم المتحضر كله عن طريق هذه المدينة •

### كليله ودمنة

وأهمية ابن المقفع في كتاب كليله ودمنة لم تكن في جودة الترجمة وحسن الاخراج والتبويب ، وانما كانت فيما أسهم فيه من وضع ، وتأليف ، وتبديل ، وتغيير فرضته عليه ثقافته العامة ، فقد انتهى بحث الباحثين بعد العثور على الاصل الهندي السنسكريتي لكليله ودمنة ، وبعد دراسة اصول كليله ودمنة ونصوصها بالفهلوية ، ثم دراسة النسخة العربية التي ترجمها ابن المقفع من الفهلوية ومقارنتها بالنسخة السريانية القديمة التي تم العثور عليها أخيرا والتي قيل انها ترجمت من الاصل السنسكريتي رأسا وقيل بل انها ترجمت من الفهلوية كترجمة ابن المقفع لنسخته العربية ، لقد ظهر من كل ذلك ان لابن المقفع يدا غير قصيرة في وضع كليله ودمنة خصوصا في مقدمة الكتاب وفي بضعة أبواب اضافية وشيء ربما كان كثيرا من التحوير والتبديل في فصول الاصل السنسكريتي ، والاصل الفهلوي ، لكي يجعله ملائما لمحيط

اسلامي عربي بعد أن كان عدد من المؤرخين والباحثين قد جزموا بأن كليله ودمنة كلها أو جلها على الاقل كان من وضع ابن المقفع نفسه •

قال ابن خلكان :

« ويقال ان ابن المقفع هو الذي وضع كتاب كليله ودمنة... » (١٣)

ويقول الدكتور عبداللطيف حمزة في كتابه (ابن المقفع):

« الواقع ان ابن المقفع كان لابد له أن يتصرف كثيرا في النسخة الفهلوية القديمة ، وذهب بعض الباحثين الى انه كان يحذف الجملة أو الفقرة بتمامها من النص الفهلوي ، وذهبوا الى انه كان يضيف الفصل الكامل اذا احتاج الأمر ، والامر قد احتاج فعلا الى أن يضيف ابن المقفع الى الترجمة الفهلوية هذه الابواب :

١ - الباب الاول في مقدمة الكتاب لعلي بن الشاء الفارسي •

٢ - الباب الثالث في عرض الكتاب ترجمة عبدالله ابن المقفع •

٣ - الباب السادس - وهو باب الفحص عن أمر دمنة •

٤ - الباب السادس عشر - وهو باب الناسك والضيف •

٥ - الباب العشرون - وهو باب البطة ومالك الحزين •

٦ - الباب الحادي والعشرون - وهو باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين •

(١٣) وفيات الاعيان ج ١ ص ٤١٤ مطبعة

السعادة •

فكان مما أخبره به ان بهرام اذا نزل المنزل دعسا بكتاب كليلة ودمنة فلا يزال منكبا عليه طول نهاره، وهنا اتجه كسرى الى أخواله قائلا ما خفت بهرام قط كخوفي منه الساعة حين اخبرت بادمانه النظر في كتاب كليلة ودمنة<sup>(١٤)</sup> .

كان هذا بعض ما يرويه الرواة عن قيمة كليلة ودمنة الفكرية والفلسفية والكتاب لم يترجم بعد الى العربية ولم يكن بهذه القوة من الحكمة والاتساع من الابواب ، والاحتواء على الامثلة والشواهد التي ادخلها عليه ابن المقفع ، أما اليوم فنكتفي بمجمل ما قدم به كمال ابراهيم محاضراته التي القاها عن كتاب كليلة ودمنة باعتبارها خلاصة آراء جميع الباحثين في هذا الكتاب الجليل .

( كتاب كليلة ودمنة اثر جليل من آثار الشرق الخالدة جمع بين عقل الهند وحكمة الفرس ، وأدب العرب فاعتزت به الانسانية عصورا طويلة وحفظته من عوادي الايام كأعز ما يحفظ من التراث وأجل ما يقتنى من آثار الماضين ، دار مع الزمن فكان كتاب الدهر الخالد والمعلم الاول في كل جيل ، والرائد الصادق لكل ذي كلمة وفلسفة وها هو ذا وقد مر على مولده في لغة الهند اكثر من الف سنة ، وعلى نقله الى لغة العرب اكثر من مائتين والى الف ، المعلم الذي لا يمل التعليم والجوابة الذي لا يسأم الضرب في الارض ، سفير الاحداث والشبان والعوام ورفيق الفلاسفة والمفكرين )<sup>(١٥)</sup> .

ويقول الدكتور عبداللطيف حمزة :واستطيع ان ازيد على هذه الابواب الستة بابا سابعا أميل الى انه كذلك من اضافة ابن المقفع وهو باب ابرزويه المتطبب ترجمة بزرجمهر .

ولسنا في صدد تاريخ كليلة ودمنة وما طرأ عليه من تطور وهي تنقل من السنسكريتية الى الفهلوية ومن الفهلوية الى العربية ، وكل ما يهمنا ان نشير اليه هنا ونحن نعرض لقيمة كليلة ودمنة في عالم التأليف هو ان هذا الكتاب لا يمثل العقلية الهندية والعقلية الفارسية ومنحى تفكيرهما الفني وخالصة حضارتهما وحدها وانما للحضارة الاسلامية والاداب العربية التي بنت جانبا من شخصية ابن المقفع بالنظر لما مر علينا من سيرته المقتضية شأن غير قليل في هذا الانر الجليل الذي اخرج ابن المقفع عصارة لعدة ثقافات وحضارات مزجها ودافها ثم سبكها في الازهان من طريق هذا الكتاب ، ولا يهمنا من بحثنا هذا ما كان له من غاية ويكفي ان نتحدث عنه كثورة في عالم الثقافة والحضارة ، وكحركة نشطة ظلت نحو ثلاثة عشر قرنا وهي تزيد روعة يوما بعد يوم بفضل ما كان لها من تأثير في بغداد وبفضل ما أصاب منها الادب العربي بسبب بغداد من انتعاش ، وحيوية ، وتطوير .

جاء في ( الاخبار الطوال ) للدينوري ان كسرى بن هرمز سار الى بهرام حتى اذا كان على مقربة منه رأى ان يقدم اليه رجلا من ثقافته وبأمره بالسير حتى يصل الى عسكره ليتعرف أمره فيقف على شيء من حيلته فسار الرجل واقام في عسكر بهرام وتسنى له معرفة ما أراد وانصرف الى كسرى

(١٤) القصة العراقية قديما وحديثا ص ٤١  
(١٥) مجلة الاستاذ المجلد السادس .

ولكل امة ولمن يريد ان يكون انسانا مهذبا فكان  
لبغداد منها نصيب الوافي •

٢ - الرافد الثاني - فيما كان لبغداد من  
فضل عميم على العالم المتحضر بكونها صاحبة الكتاب  
والمحتضنة له ، والمغنية به والناشرة لاصوله في  
العالم ، وكون ان النسخة التي اعتمدها كل لغات  
العالم الحية في الترجمة هي النسخة العربية •

### الرافد الاول

#### ١ - الحركة الادبية

ما كادت تنتشر ترجمة ابن المقفع عن طريق  
الوراقين حتى احس الادباء والفضلاء في بغداد  
بخطورة هذا الكتاب وقيمه الادبية والاجتماعية  
بل ربما حسد الادباء وعلماء اللغة ابن المقفع على  
سبقه في ترجمته ونقله من الفهلوية الى  
العربية (١٦) فاقدم بعضهم على نقله من الفارسية  
الى العربية ثانية وكان من هؤلاء عبدالله بن هلال •

#### عبدالله بن هلال الاهوازي

فلقد جاء في ( كشف الظنون ) ان من الذين  
تولوا نقل كليله ودمنة الى العربية كان عبدالله بن  
هلال الاهوازي وقد نقله ليحيى بن خالد البرمكي  
في خلافة المهدي سنة ١٦٥ هجرية وليس من  
البعيد ان تكون هذه الترجمة قد اثارت شيئا من  
التطلع وبعث شيئا من روح النقد والمقارنة بينها  
وبين ترجمة ابن المقفع ، مما ادى ذلك الى الاجماع  
على مرور الوقت بعدم امكان وقوف هذه الترجمة  
الى جنب ترجمة ابن المقفع فلم تلبث طويلا حتى  
اهملت ثم ضاعت فلم يصل منها لينا شيء •

(١٦) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٥٣

( الطبعة الجديدة ) •

### نصيب بغداد من كليله ودمنة

كان نصيب بغداد من كليله ودمنة من اكبر  
الانصاء في دنيا الثقافة والاخلاق والسياسة  
والادب ، وكانت حصيلة العلم المتحضر من كليله  
ودمنة عن طريق بغداد اثنى بكثير مما حصل العالم  
عليه من قصص ايسوب ومن جمهورية افلاطون ،  
ومن مؤلفات شكسبير ، ومن شاهنامه الفردوسي ،  
ذلك لان كليله ودمنة كان نتيجة خضارات متعددة  
كما قد اشرنا الى ذلك ، وخالصة تجارب عميقة  
تصلح ان تكون رائد الانسان في كل عصر ومصر  
فضلا عن كونها كتاب ادب من طراز قائم بنفسه ،  
لذلك لم يستغرب ان يخلف هذا الكتاب في بغداد  
اثرا من ابلغ الآثار ويعطيها نصيبا من اجمل  
وأوفر وأسمى واعظم الانصاء من التراث الثقافي  
والحضارة الانسانية ادبا وخلقا وحكمة •

وانما لتجليل هنا محصول بغداد من كتاب

كليله ودمنة في رافدين عظيمين هما في عالمهما  
كرافدي دجلة والفرات ، وقد نبعنا من معين كليله  
ودمنة وصبا في بغداد وفاضت بهما بغداد حتى  
غمرت جميع اصقاع الدنيا المتحضرة •

١ - الرافد الاول - هو ما تمثل في حركة  
ادبية احدثت ثورة كبيرة في عالم الشعر والنثر ،  
وجددت روح النشاط عند الشعراء وائمة الادب ،  
وطعمت الادب العربي شعرا ونثرا بعناصر جديدة  
من الافكار والحيوية وادب القصة ، فكانت مبعث  
منافسة في النظم بين الشعراء ، ودافعا للتجديد في  
محاكاتها والنسج على منوالها فيما بعثته من روح  
فلسفية ومثل انسانية ، وقواعد اجتماعية ، تصلح  
ان تكون مقتدى في كل زمن وغاية في كل عصر



ينظم كتابا ككلىة ودمنة ، وقد اورد ابن النديم اسماء الكثر من الكتب التي قام بترجمتها أو وضعها آل نوبخت وليس فيها ذكر لنظم كلىة ودمنة ، لذلك قد تنحصر الاولية في نظم كلىة ودمنة بابان بن عبدالحميد .

### ابان بن عبدالحميد

نستطيع ان نعتبر قيام ابان بن عبدالحميد اللاحقى بنظمه كلىة ودمنة اول ثمرة ادبية جنتها بغداد من كلىة ودمنة ، وكان ابان شاعرا مجيدا مكثرا بحيث ناط به يحيى بن برمك امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز وقد نقل ابان كلىة ودمنة من النثر الى الشعر في اربعة عشر الف بيت وقدمه للبرامكة ليسهل عليهم حفظه<sup>(١٨)</sup> فأعطاه يحيى بن خالد عشرة الاف دينار ، ولم يعطه جعفر شيئا وقال له :

الا يكفيك ان احفظه فأكون راويتك ؟ وهذا وحده دليل على ما كان لمنظومة ابان من قيمة ادبية وموقية كبيرة في جودة النقل والنظم ، بحيث يستدعي ان تكون جائزته خمسة عشر الف دينار ممن يفهمون الادب فهما عميقا ، وبحيث يتصدى جعفر البرمكي لحفظه وهو المعروف بسعة اطلاعه وعمق ادراكه ، ومنزلته الادبية .

لقد جاء في عصر المأمون ان سهل بن هرون قد حدث عن يحيى بن برمك وجعفر فيما كان عليه من البلاغة فقال : « ان سجاعي الخطب ، ومجبري القريض عيال على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى ، ولو كان يتصور درا ويحيله المنطق السري جوهرها لكان كلامهما

### اول ناظم لكلىة ودمنة - ابو سهيل النوبختي

ورد في ( كشف الظنون ) ان اول من نظم كلىة ودمنة هو ابو سهل النوبختي ، وقد نظمه ليحيى ابن خالد فأجازه يحيى على نظمه بألف دينار وقد اعتمد جرجي زيدان هذه الرواية واوردها في تاريخ آداب اللغة العربية .

وأبو سهل هو اسماعيل بن علي بن اسحق بن أبي سهل بن نوبخت ، ويقول عنه ابو الحسن الناشئ انه استاذه وكان فاضلا عالما متكلم ، وله مجلسا يحضره جماعة من المتكلمين .

وآل نوبخت بيت علم وأدب نقلوا كثيرا من الكتب الفارسية الى العربية وضمنوا كثيرا من الكتب في مختلف المواضيع وعلى الاخص منهم ابو سهل النوبختي وقد خصه ابن النديم بالذكر في الفهرست .

ويغلب على الظن ان هناك شيئا من السهو أو عدم الوضوح في نسبة الاولية بنظم كلىة ودمنة لابي سهل لان خبر نظم أبي سهل لكلىة ودمنة لم يذكره المؤرخون الآخرون فحسب وانما لان يحيى بن خالد كان قد توفي في النصف الثاني من القرن الثاني بينما توفي أبو سهل في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وانه لمن المستبعد ان يكون أبو سهل في سن - لو كان مولودا - تساعده على نظم كلىة ودمنة واهدائه الى يحيى بن خالد ، أما اذا كان المقصود بأبي سهل هو ابو سهل بن نوبخت جد اسماعيل الاكبر وقد كان فلكيا منجما خلف اباة نوبخت في تولى حساب التنجيم<sup>(١٧)</sup> للمنصور فاننا لم نعر على ما يؤيد طول باعه في الشعر بحيث

(١٨) الاغانى ج ٢٣ ص ٢٠ ( دار الثقافة ) .

(١٧) الكنى والالقب ج ١ ص ٩١ .



كل ما بقي من تلك المنظومة التي اشار اليها  
المؤرخون وفي مقدمتهم ابن النديم و ابو الفرج  
الاصفهاني ، والصولي •

ونحن نقل هنا قسما من منظومة ابان عن  
اوراق الصولي ك نموذج لهذه الروح التي بعثها  
كتاب كليله ودمنة في نفوس الشعراء وصورة للفن  
التصويري الذي دخل الشعر العربي عن طريق  
بغداد لأول مرة •

هذا كتاب كذب (٢١) ومحنة  
وهو الذي يدعي كليله ودمنة  
فيه دلالات وفيه رشد  
وهو كتاب وضعته الهند  
قوصفوا آداب كل عالم  
حكاية عن ألسن البهائم  
فالحكماء يعرفون فضله  
والسخفاء يشتهون هزله  
وهو على ذلك يسير الحفظ  
لذ على اللسان عند اللفظ  
يا نفس لا تشاركي الجهالا  
في حب مدموم كأن قد زالا  
يا نفس لا تشقي ولا تعني  
في طلب الدنيا ولا تمني

ما لم ينله احد الاندم  
اذا تولى ذاك عنه وسدم (٢٢)

دياك بالاجاب والاخوان  
كثيرة الآلام والاحوال

(٢١) ورد في الاغاني - هذا كتاب أدب  
ومحنة •

(٢٢) السدم : الندم والحزن •

والمنتقى من لفظهما ••••

يقول ابو الفرج الاصفهاني - شكنا مروان  
بن أبي حفصة الى بعض اخوانه تغير الرشيد عليه  
وامسك يده عنه فقال

- يحك أشكو الرشيد بعد ما أعطاك ؟  
قال - أو تعجب من ذلك ؟ هذا ابان اللاحقي  
قد أخذ من البرامكة بقصيدة واحدة قالها مثل  
ما أخذته من الرشيد في دهري كله سوى ما أخذته  
منهم ومن أشباههم بعدها (١٩) •

ويرى الدكتور احمد فريد الرفاعي ان ابان  
اللاحقي كانت تعوزه القوى التي تمده بالصور  
الشعرية وانه كان دون الشعراء - كأبي نؤاس -  
مستوى ، لذلك راح يستمد القوة من طريق  
آخر ليسد هذا النقص وقد وفق ابان الى فن جديد  
لم يسبقه اليه احد هو النظم التعليمي ، وقد  
استمد ابان من كليله ودمنة كل ما كان يقضيه  
الشعر ليكون شعرا تصويريا وعميقا ومؤثرا فكان  
نصيب بغداد من كليله ودمنة عن طريق ابان ثروة  
كبيرة من الشعر الفني التصويري القصصي الذي  
بدأه ابان والذي لم يدخل الشعر العربي قبل ذلك  
على هذا النحو ، ومن المؤسف ان تضيع هذه  
المنظومة التي كان لها من التأثير الكبير في اوساط  
بغداد الادبية •

وقد عثر الدكتور احمد فريد الرفاعي على  
قطعة من كتاب مخطوط قال انه وجده في دار  
الكتب المصرية تحت رقم ٥٩٤ ( تاريخ ) وهو  
كتاب الاوراق للصولي ، وقد حوى هذا الكتاب  
قطعة صالحة من نظم ابان لكليله ودمنة (٢٠) هي

(١٩) الاغاني - ج ٢٣ ص ٢٠ •

(٢٠) عصر المأمون ج ٢ ص ٣٢١ •

وهي وان نيل بها السرور  
آفاتها وغمها كثير  
يا نفس لا يحملك حب اهلك  
ولا أدانيك على ان تهلكي  
في جمع ما يرضيهم فإنه  
يضرب من امثال ذلك الدخنة (٢٣)  
بنال قوم عرفها وتحترق  
رأي به يرضى أخو الرأي الحمق  
وجدت ذا النسك الذي قد فكرا  
فزاده تفكيره توترا  
وقل - لما رضى - اهتمامه  
وتسم من سروره تمامه  
وترك الدنيا لمن يشقى بها

وكيف والدنيا بلاء كلها  
لا يأمن الآفات فيها اهلها  
اشهد ان الله فرد واحد  
أقر او أنكر ذاك جاحد  
ليس له كفوا ولا يبدأ أحد  
لم يلد الله ولا له ولد  
وانني بما عملت مرتهن  
ما كان منه من قبيح وحسن  
وهناك فصل كبير من باب الاسد والثور  
الذي ورد في كتاب ( الاوراق ) للصولي وهو كل  
ما وصل الينا من منظومة ابان اللاحقي لكليلة  
ودمنة \*

### حصيلة اخرى

ومن يقاسي الكد من انصابها  
فغدا نجا من الشرور  
ونال اقصى غاية السرور  
ثم سخت عن كل فان نفسه  
فلقي السعد وغاب نحسه  
وابصر الثواب في القيامة  
فأمن الحسرة والندامة  
ومثل الدنيا كبرق الخلب  
من يغترر منه بسقي يكذب  
وهو قياسا مثل نوم النائم  
تفرحه اضغاث حلم الحالم  
حتى اذا استيقظ صار همما  
ما كان في النوم به ألما  
فكيف بالصبر على ايام  
عما قليل هن لانصرام

ويبدو ان كليلة ودمنة لم تنف عند هذا الحد  
في بعث الحركة الادبية وتطعيم الشعر العربي  
بالفن التصويري وانما قد شجع هذا النقل ابان  
اللاحقي على أن يتابع نقل المنثور الى الشعر فنقل  
كتاب سيرة اردشير ، وكتاب سيرة انوشروان ،  
وكتاب بلوهر وبردانية وكتاب رسائل وكتاب  
حلم الهند (٢٤) ، فكان لكليلة ودمنة أثرها الفني  
مرة أخرى في الشعر القصصي والتصويري في  
شعر بغداد \* ثم الشعر العربي في الجهات  
الاخرى \*

وتوسعت الحكاية في الشعر والادب ، وتذوقها  
الادباء واصبحوا يتطلبونها ، فقد قيل لابان بعد ان  
نظم كليلة ودمنة :

- الا تعمل شعرا في الزهد ؟

(٢٣) الدخنة : بخور يدخن به الثياب  
والبيت \*

بن داود من البلغاء وكان يسلك في تصنيفاته طريقة سهل بن هرون ، وله بعض الكتب ذكرها بن النديم في الفهرست ، كما ذكر ان من ناظمي كليلة ودمنة المتقدمين كان بشر بن المعتمر •

وكان ممن نظمه القاضي الاسعد بن مماتي ، نظمه لصلاح الدين بن أيوب ، ونظمه جلال الدين النقاش من أهل القرن التاسع ومن نظمته نسخة في مكتبة الآباء اليسوعيين ببيروت •

### نتائج الفطنة

ومن أشهر من تصدى لنظم كليلة ودمنة الشريف ابو يعلى محمد بن محمد العباسي البغدادي المعروف بابن الهبارية ، قال ابن خلكان انه كان شاعرا مجيدا حسن المقاصد وكان كثيرا وله اربعة دواوين ، وان تصدبه لنظم كليلة ودمنة بعد ان مضى على ترجمة ابن المقفع له نحو اربعة قرون دليل آخر على حيوية هذه القصة وتقلتها في اذهان الادباء واقوالهم والشعور بقيمة هذا النوع من القصص ومنحاه الجديد في الادب العربي ، والا لما ظلت كليلة ودمنة تطوي القرون الطوال وهي لم تنزل المنبع العذب لهذا اللون من الفن الذي انغمس فيه الشعر العربي ، فضلا عما كانت تثيره كليلة من منافسة ادبية حادة بين الادباء والشعراء • وقد نظمها ابن الهبارية في الفتي بيت وسماها ( نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة ) وأشار الى معارضته لابان بن عبد الحميد ، ومناقبته في منظومته اذ جاء في مقدمته قوله :

كلت طباع القوم دون نظمهم  
وعجزوا عن سبكه لعظمه

فعمل أبان قصيدة مزدوجة في الصيام والزكاة  
افتتحت بالقول :

قصيدة الصيام والزكاة  
نقل أبان من ثم السرواة

وعلى هذا المنحى نحا بعد ذلك الشعراء والفقهاء فنظموا العلم ، والحكمة ، والقصص في اراجيز وقصائد ، ما لبثت ان طغت بها كتب الادب ثم اصابت كتباً مستقلة شملت أموراً شتى منها آداب الاكل والطعام منظومة بالشعر المزدوج •

### الذين نظموا كليلة ودمنة

ومن كثرة المتصددين الى نظم كليلة ودمنة يستتج المستتج عظم الاهتمام بهذا الكتاب ووقوعه على النفوس وما كان قد احدث من أثر بليغ في عالم الشعر والادب بحيث تصدى الكثير الى تجديد نظمته مباحاة بقدرتهم على البروز في هذا اللون الجديد من الفن التصويري والشعر القصصي ، والنسج الاخلاقي أو طموجا بالشهرة التي يكسبها بسبب اقتران اسمه باسم كليلة ودمنة وتوقع حفظ منظومته من لدن ائمة الادب وابنائهم عن ظهر قلب كما قد فعل آل برمك حين حملوا اولادهم على حفظ منظومة ابان بن عبد الحميد او طمعا بالجائزة من الخلفاء او الوزراء او الامراء اذا ما قاموا باهداء منظومهم اليهم ، أو بداعي كل تلك الاسباب معا ، ومهما كان الداعي فانه الدليل على ما احدثت كليلة ودمنة من ثورة في عالم الادب ببغداد •

وكان من الذين تصدوا لنظم كليلة ودمنة علي بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر ، وكان علي

الا ابان اللاحقي الكاتب  
 فانه في نظمه لغالب  
 ثم أبو يعلى أنا فاني  
 نظمته بالجهد والتعني  
 متبعا فيه أبان اللاحقي  
 وليس وهو سابقى بلاحي  
 فان يكن أقدم مني عصرا  
 فاني أحسن منه شعرا  
 ومن حسن الصدف ان منظومة ابن الهبارية  
 لم تضع كما ضاعت منظومات الشعراء الآخرين  
 ومع ذلك فان ابيانا منها قد سقطت وان شيئا من  
 الاختلاف موجود في بعض نصوصها وهي اليوم  
 مطبوعة طبعاً انيقاً ، وفي بعض مكاتب لندن  
 والهند والاسطانة نسخ منها ، وهذا قسم من منظومة  
 ابن الهبارية كصورة من ملكاته في كيفية نقله  
 لكليلة ودمنة وتصويره اياها بالشعر \*

**باب الاسد والثور وهو مثل الرجلين المتحابين**  
**يقطع بينهما الوشاة الخونة ويحملونهما على**  
**العداوة \***

قال كبير الهند وهو ديشليم  
 للفيلسوف أنت في العلم علم  
 حتى يعود ودهم عداوة  
 تفسدهم سعاية الخوان  
 فاضرب لنا الامثال في الاخوان  
 مرارة تحدث من حلاوة  
 فقال في ذاك الحكيم يسدا  
 منقحا أمثاله مهذبا  
 قد يقطع الوشاة جبل الوصل  
 بين الخليطين بغير أصل

اضرب في ذلك للناس مثل  
 بتاجر لام بنيه وعذل  
 في تركهم صلاحهم وصنعهم  
 ما لا يعود أبدا بنفعهم  
 قال لهم :  
 مقاصد العاقل من دنياه  
 مال وزاد للردى وجاه  
 وانما يدركها بأربعة  
 كسب حلال وابتغاء منفعة  
 بكثرة الانماء والتمير  
 والقصد في الانفاق والتدبير  
 لنفسه واهله وخله  
 ذلك زاد بعثه من حله  
 او كان ذا مال وذا اكتساب  
 فانه كمثل ميت قد عطب  
 اوشك ان يبقى بغير مال  
 فأنفق المال بلا حساب  
 من لم يكن لفقيره بمكتسب  
 فالكحل لا يبقى على الاميال  
 أو لم يصب مواضع الانفاق  
 فليس في الناس بذى خلاق  
 وان غدا مقترا بخيلا  
 كيلا يكون عائلا معيلا  
 فهو على غناه كالفقير  
 وماله كالماء في الغدير  
 يسيل من جماعة النواحي  
 في غير ما نفع ولا صلاح  
 وربما صار كبيرا فاندفق  
 أو عاد في شاطيه بثق فانفق

يقتصروا على عصر دون عصر وكان من أشهر هؤلاء وأبرعهم سهل بن هرون اتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة<sup>(٢٥)</sup> وكان حكيمًا فصيحًا شاعرًا ، وصفه ابراهيم بن ذكوان كاتب الهادي ووزيره قال « انه كالخير ، وازن العلم ، واسع الحلم ، ان حودث لم يكذب ، وان موزح لم يغضب كالغيث أين وقع نفع ، وكالشمس حيث اولت احيت ، وكالارض ما حملتها حملت . . . الخ »<sup>(٢٦)</sup> . وكان ابو عثمان الجاحظ يفضلته ويصف

براعته وفصاحته ويحكي عنه في كتبه<sup>(٢٧)</sup> . ومما وصفه به قوله « كان يقضى له بالحكمة قبل الخبرة ، وبرقة الذوق قبل المخاطبة وبدقة المذهب قبل الامتحان ، وبالنبيل قبل التكشف . . الخ »<sup>(٢٨)</sup>

وليس المقصود بتعريف سهل الا تعريف ما يمكن ان يكون لكليلة ودمنة من عمل في نفس حكيم كهذا بحيث يدفعه الى مجاراتها ومباراتها ووضع بعض مؤلفاته على نسقها من حيث التوبيخ وسرد الامثلة ، وسبك الموعظة ، فلقد قام سهل بتأليف ( ثعلة وغفراء ) على مثال كليلة ودمنة وقد قلده الكتاب في أبوابه وامثاله ، وقال المسعودي عن نعلة وغفراء انه كان يزيد على كليلة ودمنة في حسن نظمه وقد صنفه للمأمون ، كما وضع كتاب النمر والشعب وكتبا اخرى على هذا المنوال الذي اوجدهته كليلة ودمنة ، ولم تبق الايام لنا شيئا منها .

ومما ورد في مطاوي كتاب ثعلة وغفراء من مواعظ وامثال جاءت في سياق الحديث قوله

(٢٥) معجم الادباء ج ١١ ص ٢٦٦ .

(٢٦) من محاضرة لمحمد كرد علي نشرها

المقتطف ( عصر المأمون ج ٣ ص ٤٨ ) .

(٢٧) الفهرست ص ١٧٤ .

(٢٨) البيان والتبيين ص ٨٧ (الطبعة الثانية) .

كذلك من لا ينفق الاموالا  
في حقها اذ أضرب الامثالا  
يجمعها لحادث أو وارث  
أو ط . . . من الليالي كارث  
فاتعظوا بقوله وارتمعوا  
ثم الى رضاه جمعاً رجعوا  
واتجه الاكبر للتجسار  
فساق ثورين مع السيارة

• • • • •

الخ • • • • •

### الرافد الاول

#### ب - الحركة الادبية

اما الوجه الثاني من الحركة الادبية التي انبعثت من ترجمة كليلة ودمنة الى العربية والذي حصلت عليه بغداد فهو الاقبال على ترجمة عدد آخر من الآثار الادبية والاخلاقية والحكومية والفارسية والتأثر بها والانغماس فيها ، وقد بلغ اثر كليلة ودمنة ان راح الكثير من حملة الاقلام والشعراء يضعون القصص على غرارها ، وينسجون على منوالها ويندعون ويقتنون في حكاياتهم وامثالهم وتصويرهم الفكرة فكانت نتيجة من اروع النتائج الادبية بحيث صار للقصص من هذا النمط محل مشهود في الشعر والنثر العربي ، وكان لبغداد التي اصابت منه بسهم وافر الفضل الاكبر في نقله ونشره في جميع الاقطار العربية ثم اقطار الدنيا .

#### اشهر الذين باروا كليلة ودمنة

والذين باروا كليلة ودمنة ووضعوا القصص على غرارها نثرا ونظما ، كانوا كثيرين جدا ، ولم

« اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدما قبل الذي تجدون به من تفضلكم ، فان تقديم النافلة مع الابطاء في الفريضة شاهد عن وهن العقيدة ، وتقصير الروية ، ومضر بالتدبير ، ومخل بالاختيار ، وليس في نفع تحمد به عوض من فساد المروءة ، ولزوم القيسة . »

ويقول ابن النديم ان كتاب كليلة ودمنة جوامع وانتراعات عملها جماعة منهم ابن المقفع وسهل بن هرون ، وسلم صاحب بيت الحكمة وهو الذي كان يعمل تحت رئاسة سهل بن هرون في ادارة بيت الحكمة ، وعد ابن النديم من اولئك الذين انتزعوا من كليلة ودمنة بعض مؤلفاتهم ( المرید الاسود ) الذي استدعا المتوكل في ايامه من فارس (٢٩) .

وكان من الذين حاكوا كليلة ودمنة وضمنوا الكتب على منوالها من بغداد نفسها ، أو ممن تأثر ببغداد وأدبها في محاكاة كليلة ودمنة كابن الهبارية ، فقد صنف ونظم كتابا باسم « دور الحكم في أمثال الهند والعجم » ولم يتم هذا الكتاب وانما اتمه بعده عبد المومن بن الحسن الصاغاني ومنه نسخة بمكتبة فينا (٣٠) .

### الصادق والباغم

ومن اهم ما احدثته محاكاة كليلة ودمنة كتاب الصادق والباغم الذي قضى ابن الهبارية في نظمه عشر سنوات حتى وضعه في الفبي بيت ابداع في مضامينها وصياغة أمثالها ابداعا فائقا ، واهداه الى الامير الحسن صدقة ابن منصور بن ديبس الاسدي ، وقال في مقدمته :

هذا كتاب فيه علم وادب  
فوق أنواع القريض والخطب  
عملته لسيد الملسوك  
وموئل الملهوف والصعلوك  
فجاء مثل الذهب المسبوك  
سلكت نهجا ليس بالملوك  
في نظمه وسبكه ووضع  
لا من كلام همني في جمعه  
بل ابتدعا لصنوف الحكمة  
بهمة في العلم أي همة  
ولا يكتفي بهذا القدر من التفاخر بل يعيد  
الكرة في خاتمته ويقول :

هذا كتاب حسن  
تحار فيه الفطن  
قضى فيه مدة  
عشر سنين عدة  
واذ سمعت باسمكا  
وضعته برسسمكا  
يسوته الفنان  
جميعها معان  
لو ظل كل شاعر  
وناطم وناتر  
كعمر نوح التالد  
في نظم بيت واحد  
من مثله لما قدر  
ما كل من قال شعر

ويدخل الموضوع على هذا النمط من باب  
( الناسك والقاتك ) فيقول :

(٢٩) الفهرست ص ٤٢٤ .

(٣٠) ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٢١ .

فصل ( الحمامة المطوقة ) وهذه الرسالة هي الثانية من قسم الطبيعيات واسمها رسالة الحيوان وهي رسالة تتضمن شكوى الحيوان من الانسان ، وكتبت لها مقدمة قيل انها تشرح تطور الحيوان من النبات والنبات من الجماد على نحو يذكر بنظرية داروين في الشئ والارتقاء ، وتقع هذه الرسالة في مائتي صفحة (٣١) .

ويورد ابن النديم اسماء عدد من الكتب التي لم يعرف مصنفوها ولا مؤلفوها وبينها عدد كبير تدل اسمائها على انها لم تخل من اتباع طريقة ابن المقفع في جعل الحيوان زمرا وايراده في صلب القصة ومحاكاة ابن المقفع في طريقته واسلوبه .

ويلمس الباحث اليوم محاكاة كليلة ودمنة والتأثر بها وعمق مفعولها في الكثير مما يورده ناسنا من القصص والامثال التي يأتون بها بأسلوب رمزي وعلى السنة الحيوانات والاسيما سكان القرى والارياف العراقية التي تسمى بعض هذا اللون من القصص والامثال ( بالحسجة ) وتسمى البارح الذي يعرف كيف يصوغ القصة للوصول الى مغزاه ( بالحسجاوي ) .

### من يقرأ ومن يسمع ؟

ونورد هنا مثلا مما يتناقله عامتنا من سكان بغداد وجميع المدن الاخرى للغوغائية والهمرج والمرج الذي يحول بين ايصال صوت الواعظ الى

- (٣١) أ - ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٢١ .  
 ب - ابن المقفع - الدكتور عبداللطيف حمزة ص ٣٢١ .  
 ج - تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٥٤ .  
 د - مجلة الاستاذ العدد السادس .

خرجت من بعض ضروب البصرة في رفقة من عامر للعمرة حتى اذا كنا على رمل الحمى وقد خبطنا جوف ليل منلما في ليلة باردة مطيرة رياحها شديدة كثيرة قال اصحابي انزلوا فعرسوا

فالليل داج والرفاق نعدوا

• • • • •  
 الخ • • • • •

وقد طبع الكتاب لأول مرة سنة ١٨٨٦ ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات .

وقد الف على منوال كتاب كليلة ودمنة كتاب ( سلوان المطاع في عدوان الطباع ) الفه شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابي قاسم القرشي المعروف بابن ظفر المتوفى سنة ٥٦٠ هـ وقد صنفه لبعض القواد بصقلية وهو مطبوع ، وقد نظم وترجم الى الفارسية والتركية ، وألف كتاب ( المستطرف في كل فن مستطرف ) لشهاب الدين احمد الابنهي ، والف كتاب ( فاكهة الخلفاء ومناظرة الظرفاء )

لشهاب الدين بن عريشاه .

والف كتاب ( القائف ) على لسان كليلة ودمنة الفه ابو العلاء المعري في ستين كراسة ولم يكن قد تم ، وان له كتاب ( منار القائف ) يتضمن تفسيره في عشرة كراريس .

وفي رسائل ( اخوان الصفا ) رسالة في المناظرة بين الحيوان والانسان لا تخلو من لون من كليلة ودمنة ، بل يظن ( كولد زيهير ) ان اسم اخوان الصفا مقتبس من كليلة ودمنة اذ ورد الاسم في اول



وخرج سلطان الثعالب فاجتمع حوله رهط كبير منهم وتقدموا الى القرية بكل اطمئنان وراحة بال • وما كادوا يبلغون أطراف القرية وتحسن بهم الكلاب حتى هرعن من جميع الجهات وراحت تنهشهم نهشاً وقد أطلق كل واحد منهم (ساقيه) للريح ••• قال سلطان الثعالب الى الثعلب الذي يحمل فرمان سلطان الكلاب وهما في أقصى سرعة من العدو والقفز قال اقرأ عليهم فرمان سلطان الكلاب ليعلموا اننا لم ندخل قريتهم من تلقاء أنفسنا ، واننا نحمل فرمانا يجيز لنا مثل هذا الحق •

فأجاب الثعلب :

أتراهم تاركيني لأقرأ عليهم فرمان ؟ وهب اني وجدت الفرصة لقراءة فرمان أتراهم يسمعون ما أقول وقد صكت الضجة والنباح والهرير اسماعهم ؟

ولا يعرف منذ متى شرع الناس بمحاكاة كليلة ودمنة في ضرب الامثال وسرد القصص على السنة الحيوانات ومنذ متى شرع الآباء والامهات والجدات يروون للصغار مثل هذه القصص والحكايات بقصد ادخال السرور على نفوسهم وخاصة في أوقات النوم حتى بلغ من تأثير هذه القصص أن تسرب الى أذهان الكثير من العامة الاعتقاد بأن هذه القصص المروية على السنة الكلاب والذئاب والثعالب والمواشي هي قصص واقعية وان الحيوانات كانت تنطق كالانسان في صدر التاريخ •••!!

أقول ولا يعرف بالضبط متى شرع العامة يحاكون كليلة ودمنة ويروون على السنة الحيوانات

المسامح، المثل الذي طالما استشهد به الناس في مكانه المناسب قائلين ( من يسمع ؟ من يقرأ ؟ )

وهو ان جمعا من الثعالب قد اتفقوا ذات يوم في ما بينهم على أن يقوم في كل ليلة ثعلب منهم بغزو قرية فيأتي لرفاقه بما يستطيع ان يحصل عليه في غفلة من الكلاب ، وذات ليلة وقعت القرعة على احد الثعالب المعروفة بالشجاعة والبسالة ، وحين دخل هذا الثعلب كوخ أحد القرويين أحسن به الكلاب وضيقوا عليه الخناق ولم يجد في الكوخ غير محفظة معلقة في الحنية رأى ان يخطفها ويلوذ بالفرار ، وهكذا فعل وفلت من الحصار ، وفي مأمن من الكلاب بعيد عن القرية اراد ان يعرف ماتحوي هذه المحفظة فلم يجد فيها غير ورقة مطوية ربما كانت سندا أو حجة دار ، وخجل ان يعود الى جماعة خائبا فألقى بالمحفظة جانبا وحمل الورقة وجاء الى قومه صائحا :

- البشارة - البشارة

- قالوا وما الخبر ؟

قال - لقد استطعت ان أدخل مع سلطان الكلاب في مفاوضة طويلة عريضة انتهت بوقوع الصلح بين الثعالب والكلاب ، وقد وافق سلطان الكلاب على ان يسمح للثعالب بالدخول الى القرى آمنين في أي وقت شاءوا ، وحين طلبت - قال الثعلب - ما يؤيد رضاه هذا ليكون وثيقة نعتها اذا ما عارض طريقنا كلب من الكلاب ، طلب قلما ودواة وكتب لي هذه الوثيقة ووقعها بتوقيع الكريم •

قالت الثعالب - اذن فلن يحول بيننا وبين

دخول القرية حائل بعد هذا اليوم •••؟

قال - أبدا •

قالت - فاقض بيننا

قال - قد قضيت

وورد في القرآن شيء من القصص على السنة

الحيوانات منه •

قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم

لا يحطمنكم سليمان وجنوده •

ومنه على لسان الهدهد : «...» فقال احطت

بما لم تحط به •

الى غير ذلك ، ولكن هذا الوارد - كما يحدثنا

التاريخ - كان من القلة بحيث لا يمكن ان ينسب له

احداث مثل هذه الثورة التي عمت الادب والمجتمع

في العراق ثم عبرت منه الى سائر اقطار الدنيا •

واضاف أحمد أمين على هذا قائلاً انه كان

لكلية ودمنة أثر من ناحية تفصيل القصص على

السنة الحيوانات تفصيلاً طويلاً ، ووضع الحكم

والامثال والعظة على الستها ، وقد زادت الحاجة

اليه في عصور الاستبداد يوم كان الحكام والملوك

يضيقون على الناس أنفاسهم ، فلا يستطيع ناقده

ان ينقد اعمالهم ، ولا واعظ أن يوميء بالموعظة

الحسنة اليهم ، ففشا هذا الضرب من القول

والقصص ، وتغلغل في حياة المجتمع وتمكن من

نفوسهم •

وان كتب الادب والمجاميع والكشاكيل

مشحونة بالكثير من هذه الحكايات والقصص

والامثال المنسوجة على طريقة كلية ودمنة تختلف

فيها القوة والضعف والبراعة في التصوير والحكاية

والمغزى باختلاف مقدرة حاكياها وناسجها وكتابها ،

ولا نحسب أن أديبا استطاع ان يحاكيها محاكاة

تقارب من اسلوب ابن المقفع وتشابهه كما حاكها

الناوفة لديهم والواقعة تحسنت اعينهم يمثل هذه

السمة ، ولكن المؤكد ان هذا اللون لم يعرف

في العربية وفي اللغات الاخرى باستثناء (امسال

ايسوب) في اللغات الاوربية الا بعد معرفة الناس

لكلية ودمنة وبعد انتشار قصصه وامثاله ، وبتى

اليوم والكثير من القصص والحكايات والامثال

الواردة في الادب الشعبي ، والقروي محسكي

بأسلوب كلية ودمنة وفاعل في تهذيب المجموعة

العامة على قدر ما في تلك القصص من قابلية •

والحق انه كان للعرب شيء من هذا الاسلوب

قبل انتشار كلية ودمنة وقد ورد بعض ذلك في

مطاوي التاريخ العربي قبل الاسلام كمثل الارنب

والتعلب ، فقد حكى :

ان الارنب قد التقطت ثمرة ، فاخطفها التعلب

فاكلها ، وتخاصما فانطلقا الى الضب للتحكيم •

فقلت الارنب - يا أبا الحصين

قال - سميعاً دعوت

قالت - أتيناك لنخضم اليك

قال - عادلاً قصدت

قالت - اخرج الينا

قال - انما يؤتى الحكم في بيته

قالت - اني وجدت ثمرة

قال - خيراً اصبت

قالت - فاخطفها التعلب

قال - اراد الخير لنفسه

قالت - فلطمته

قال - بحقك أخذت

قالت - فلطمني

قال - فأر لنفسه

مؤخرا مصطفى الرافعي الذي اتخذ من اسلوبها سلاحا استعمله في حربه مع العقاد ومع طه حسين ويستطيع الباحث ان يجده بالتفصيل في كتاب المعركة ، وقد أشار سعيد العريان في كتابه ( حياة الرافعي ) الى كيفية انتهاج الرافعي اسلوب كليظة ودمنة في سخريته اللاذعة وقده العنيف فقال :

وأبدع هذه الاساليب حديث الرافعي عن كليظة ودمنة وما حملها من الرأي فيما تناول من فنون الادب ، وكليظة ودمنة كتاب في العربية نسيج وحده ، ولم يستطع كاتب من كتاب العربية ان يحاكيه منذ كان ابن المقفع الا مصطفى صادق الرافعي ، وكانت اول هذه المحاكاة اتفاقا ومصادفة في مقالة من مقالات الرافعي في طه حسين اذ اراد ان يتهم بصاحبه على اسلوب جديد فبعث كليظة ودمنة ليقول على لسانهما كلاما من كلامه ، ورأيا من رأيه ، فلما أتم تأليف هذا الفصل عاد يقرؤه فاذا هو عنده يكاد من دقة المحاكاة وقرب الشبه ان ينسبه - على المزاح - الى ابن المقفع فلا يشك أحد في صدق روايته ، فنشره بعد ما قدم له بالكلمة الآتية :

( الثور والجزار والسكين ) ثم نشر في الرسالة سنة ١٩٣٥ الفصل العاشر بعنوان ( كفر الذبابة ) يعني بها مصطفى كمال وحركته الدينية . وقد كان في نية الرافعي ان يتم هذه النسخة من كليظة ودمنة - كما روى العريان - يعارض بها كتاب ابن المقفع او يتمه ولكنه لم يوفق (٣٢) . ومن طريق المدارس والتبع وتداول كتاب كليظة ودمنة كثر الالتفات الى التشابه والامثلة

(٣٢) القصة العراقية قديما وحديثا ص ٥٠ .

« عندي نسخة من كتاب كليظة ودمنة ليس مثلها عند احد ، ما شئت من مثل الا وجدته فيها وقد رجعت اليها اليوم فأصبت فيها هذه الحكاية :

قال كليظة - أما تضرب لي المثل الذي قلت يا دمنة ؟

قال دمنة - زعموا ان سمكة في قدر ذراع...»

ومضى في اختراعه وتهكمه حتى انتهى الى رأي دمنة في الدكتور طه حسين ، ثم استمر ينقل عن

رأيا فإنه يزداد بالمشورة رأيا وعقلا كما تزداد النار بالودك ضوءا .

ز - من لا يشكر له كمن نثر بذره في السباح .

ح - لا يخفى فضل ذي العلم وان اخفاه ، كالمسك يخبأ ويستر ، ثم لا يمنع ذلك رائحته أن تفوح (٣٣) .

وهكذا ظل كليله ودمنه منذ أول يوم عرف في الأوساط الكتاب الاخلاقي والادبي الاول الذي تعول عليه المدارس من بين كتب القراءة وهو لحد هذا اليوم لم تتضعع منزلته ولم ينقص شيء من الاهتمام به ان لم يكن قد ازداد اهمية يوما بعد يوم لذلك كانت حصيلة الادب والاخلاق منه كبيرة جدا .

وقد عاد بنصيب كبير على الادب العربي والادب العالمي عن طريق بغداد .

### الرافد الثاني

ان أصل كليله ودمنه هندي كتب بالسسكريتية في عدد من الابواب وترجم الى التبتية أول ما ترجم ثم ترجم من السنسكريتية الى الفهلوية وأضاف اليه الفرس أبوابا اخر وزادوا عليه ، ومن الفهلوية ترجم الى السريانية الاولى وقيل بل ترجمت السريانية الاولى من السنسكريتية رأسا ، وقام ابن المقفع بترجمته من الفهلوية الى العربية ، وأضاف عليه وزاد في أبوابه ونسقه وأخرجه على هذه الصورة التي نراها اليوم كما قد أشرنا الى ذلك . وقد انعدمت النسخ القديمة التبتية والفهلوية

(٣٣) محاضرة كمال ابراهيم (مجلة الاستاذ)

العدد ٠٧

الادبية المبكرة التي هي بعض خصائص ابن المقفع الادبية ، وتأثر بها الادب العربي الذي كان يمتلك الكثير من نوعها فزادت ثروة الادب بهذا المبكر من التشابيه التي انصبت في الشعر والنثر بعبارة .

وقد غني كمال ابراهيم بجمع طائفة كبيرة من هذا المبكر من الامثال والتشابيه والخيال الذي اودعه ابن المقفع في كليله ودمنه والذي كان له قيمة في ثورة الادب التي المعنا بها من قبل ، ونحن نورد هنا بعض هذه التشابيه المبكرة لتسهل معرفة مدى بعض أثرها في الإنشاء .

يقول كمال ابراهيم : وقد انتشرت في الكتاب تشبيهات كثيرة على اختلاف ضروب التشبيه فيها ساقها لتصوير المعاني والأفكار والعبر والمواعظ في كل قصة واستطرادة من استطراداته الكثيرة ، ولبلابة هذه التشبيهات أصبحت بمثابة الامثال السائرة ، فمن هذه التشبيهات التي امتزج بها كمال ابراهيم هي :

أ - الدنيا كالملح كلما ازدادت منها شربا زددت عطشا .

ب - شر الملوك الذي يخافه البريء .

ج - يبقى الصالح من الرجال صالحا حتى يصاحب فاسدا ، فاذا صاحبه فسد ، مثل مياه الانهار تكون عذبة حتى تخالط ماء البحر .

د - الدنيا كدودة القز لاتزداد بالابريسم على نفسها لفا الا ازدادت من الخروج بعدا .

هـ - صحبة الأشرار تورث الشر كالرياح اذا مرت على التن حملت تننا ، واذا مرت على الطيب حملت طيبا .

و - المستشير وان كان أفضل من المستشار

ولم يعثر الا على الاصل الهندي القديم والسريانية الاولى متأخرا ، لذلك كانت النسخة العربية التي انتشرت من بغداد هي أصل كل التراجم في جميع العالم .

ومن المؤكد ان تكون فصول وقصص هذا الكتاب وأمثاله قد انتشرت في العالم مع انتشار الاسلام وقبل قيام المترجمين بترجمته كاملا بالنظر لما مر علينا من اهتمام المسلمين والعرب به مثل ذلك الاهتمام الذي كان يحمل على حفظه وتدارسه ونظمه ومحركاته . وبالنظر لان بغداد قد اصبحت منذ اول يوم انشائها عاصمة للعلم والعرفان يقصدها الجميع من مختلف الجهات لمختلف الاغراض وكان لا بد ان تكون هي الواسطة الاولى لانتشار كليلة ودمنة كما كانت الوسيلة الاولى لسروج العلم والادب والشعر والنثر في عصورها الذهبية .

ويستعرض ابن النديم فيما يستعرض من كتب الروم كتاب ( سمسة ودمن ) ويقول انه على مثال كتاب كليلة ودمنة<sup>(٣٤)</sup> ومعنى ذلك على الغالب ان كتاب كليلة ودمنة قد انتقل من بغداد عن طريق اتصال الروم ببغداد قبل ان تتم ترجمة الكتاب الى اللغات الاوروبية ترجمة كاملة لجميع ابوابه وفصوله ، ولقد قام جرجي زيدان بدراسة وافية اعتمدها على دراسة عدد من المستشرقين لترجمة كليلة ودمنة وانا نلخص هنا بحثه عن اشهر هذه الترجمات التي نقلت كليلة ودمنة من الاصل العربي الى لغاتها وهي عشر لغات ، اما العدد الكبير من الترجمات الاخرى التي تم نقلها الى نفس اللغات او الى لغات غيرها فقد نمت

وتستعرض ابن النديم فيما يستعرض من كتب الروم كتاب ( سمسة ودمن ) ويقول انه على مثال كتاب كليلة ودمنة<sup>(٣٤)</sup> ومعنى ذلك على الغالب ان كتاب كليلة ودمنة قد انتقل من بغداد عن طريق اتصال الروم ببغداد قبل ان تتم ترجمة الكتاب الى اللغات الاوروبية ترجمة كاملة لجميع ابوابه وفصوله ، ولقد قام جرجي زيدان بدراسة وافية اعتمدها على دراسة عدد من المستشرقين لترجمة كليلة ودمنة وانا نلخص هنا بحثه عن اشهر هذه الترجمات التي نقلت كليلة ودمنة من الاصل العربي الى لغاتها وهي عشر لغات ، اما العدد الكبير من الترجمات الاخرى التي تم نقلها الى نفس اللغات او الى لغات غيرها فقد نمت

وتستعرض ابن النديم فيما يستعرض من كتب الروم كتاب ( سمسة ودمن ) ويقول انه على مثال كتاب كليلة ودمنة<sup>(٣٤)</sup> ومعنى ذلك على الغالب ان كتاب كليلة ودمنة قد انتقل من بغداد عن طريق اتصال الروم ببغداد قبل ان تتم ترجمة الكتاب الى اللغات الاوروبية ترجمة كاملة لجميع ابوابه وفصوله ، ولقد قام جرجي زيدان بدراسة وافية اعتمدها على دراسة عدد من المستشرقين لترجمة كليلة ودمنة وانا نلخص هنا بحثه عن اشهر هذه الترجمات التي نقلت كليلة ودمنة من الاصل العربي الى لغاتها وهي عشر لغات ، اما العدد الكبير من الترجمات الاخرى التي تم نقلها الى نفس اللغات او الى لغات غيرها فقد نمت

(٣٥) مجلة الاخاء الطهرانية - العدد ٣٠

(٣٦) أز سعد تا جامي ص ٥٢٦

(٣٤) الفهرست ص ٤٢٥

وكانت امثلة ايسوب اليوناني على السنة الحيوانات قد سبقت كليلة ودمنة في انتشارها في اوربا ولكننا لانستطيع ان ننكر ما فعلت كليلة ودمنة من توجيه في الافكار وما اوجدت من سبل في الحياة الاجتماعية والادبية والفلسفية في اوربا، خصوصا وان الكثير من الشعر الاوربي كشعر لافوتتين ، وفلوريان الفرنسيان ، وجون غلي الانكليزي ، وكريلوب الروسي ، ونيوتي الايطالي ولسينغ الالماني<sup>(٣٧)</sup> ، وكثيرا من الصور والكاريكاتور كانت أقرب الى اسلوب كليلة ودمنة بل ان بعض الصور نفسها الظاهرة في بعض القطع الادبية الاوربية المتزعة من كليلة ودمنة ، ولقد بلغ من شيوع هذا الفن ان تجاوز حدود النظم والنثر في اوربا ودخل ميدان الرسم والتصوير والسينما، لذلك لايبعد ان يكون ( والت ديزني ) الرسام الكاريكاتوري الذي كان اول من اخرج الافلام المنصورة على الشاشة واول من عمل الرسوم المتحركة للسينما عن الحيوان والقصص السحرية، والذي اخرج افلام الكارتون حتى تطورت وبلغت من سمو التأثير في الافكار والعقل والترويح عن النفس هذا المبلغ العظيم - نقول انه من غير البعيد ان لم يكن من المؤكد انه كان ذلك احد نتائج تغفل كليلة ودمنة في الوسط الثقافي العام .

تقول دائرة المعارف البريطانية ان قصص الحيوان ترجع الى مصدرين قديمين معروفين هما اليونان والهند ، ولكن القصص اليونانية اقدم عهدا في الشكل الذي تنقل اليها ، اما مجموعات قصص الحيوان الهندية فأقدمها المجموعة المسماة

كبابو الى اللاتينية سنة ١٢٢٧ ومنها نقل كتاب كليلة ودمنة الى معظم لغات اوربا الحديثة .

اما الترجمة العبرانية الاخرى المنقولة عن العربية ايضا فهي محفوظة بمكتبة كسبرج وقد نقلها من العربية يعقوب بن العازر احد كتاب القرن الثالث عشر .

٦ - اللاتينية الشعرية - وقد نقلت من العربية ويظن انها نقلت في نحو القرن الثالث عشر .

٧ - الترجمة الاسبانية القديمة - وقد نقلها الاسبان رأسا من العربية في اواسط القرن الثالث عشر ، ومن هذه الترجمة نقلت ترجمة لاتينية اخرى .

٨ - الترجمة الانكليزية - وهذه الترجمة نقلت من العربية نقلها القس ويندهام ناشبول .

٩ - الترجمة الهندية - وفي جامعة ليدن ترجمة ملقاة منقولة عن العربية رأسا .

١٠ - الترجمة الروسية - وهي آخر ما نقل من الترجمات الافرنجية عن العربية نقلها ميخائيل عطايا .

هذا ما تم نقله عن العربية رأسا اما الذي تم نقله بالواسطة فيبلغ العشرات ، وكثيرا ما تعددت الترجمة بالواسطة ، أما عدد الطبقات لكل لغة وانواعها فقد بلغت حدودا لا يتصورها المتصور في السنوات الاخيرة .

كل هذا كان مصدره الاول بغداد التي انتشر منها كليلة ودمنة ، في جميع انحاء الدنيا وعمل في الاوساط المتحضرة من حيث فنه وتصويره واتخاذ الحيوانات وسيلة لاداء الغرض المنشود

عملا عجيبا .

(٣٧) تلخيص مير بصري .

( بانجاتانترا ) وهي ترجع الى مصادر بوذية من القرن الرابع وقبله ، أما كليلة ودمنة المعروفة بأمثال بيدبا فهي القصص الهندية التي نقلت الى اللاتينية عن طريق الفارسية القديمة وعن طريق العربية واتصلت بعد ذلك بالقصص اللاتينية<sup>(٣٨)</sup> .

فمن اتصال هذه الترجمة باللاتينية وسائر لغات اوروبا الحديثة ، تدفقت تيارات كثيرة فعملت عملها العجيب في الادب والفن ، والحضارة العالمية من حيث يدري العالم ومن حيث لا يدري •

(٣٨) ترجمة مير بصري •

وانه لمن حق بغداد في التاريخ ان تظفر بمثل هذا النصب الخطير ، وان نجني من كليلة ودمنة هذه الثورة الطائلة من الادب والفن والفلسفة • وما جاء به اليها هذان الرافدان من نعمة المحصول ومن حصاد بلغ ذروته من حيث قيمته •

انه من حق بغداد ان تحصل على مثل هذا النصب الوافر في عصرها الذهبي لان بغداد كانت يومها التربة الخصبة النقية التي تجد فيها البذرة الصالحة كل الاجواء الصالحة والعناصر الصالحة لكي تنجم وتنمو وتزهر وتثمر وتأتي بالمنتوج اضعافا مضاعفة •



مركز تحقيقات كميبيوتر علوم إسلامي